تداعيات المواجهة الإيرانية الإسرائيلية

على نسبة التشيّع وشعبيته في العالم الإسلامي

مركز وصل للبحوث والدراسات

تداعيات المواجهة الإيرانية الإسرائيلية على نسبة التشيّع وشعبيته في العالم الإسلامي

فريق العمل

مركز وصل للبحوث والدراسات

الفهرس

مقدمة ٦

رصد الظاهرة: مؤشرات ارتفاع نسبة التشيع ٧

1. الحراك الرقمي والشعبي: التعاطف مع إيران ٧

1. نمو المجتمعات الشيعية في أفريقيا: نيجيريا نموذجًا ٩

2. ظاهرة "المستبصرين" في جنوب شرق آسيا ١٠

3. التشيع في تونس: بين الحضور الرمزي والجدل السياسي ١١

4. التشيع في مصر: الميراث العبيدي والواقع المعاصر ١٢

5. واقع التشيع في الجزائر: التاريخ والوضع الراهن ١٣

6. دول أخرى شهدت انتعاشاً للظاهرة ١٤

الخلاصة الأولى ١٧

أسباب الصعود: لماذا ينجذب السنة للتشيع في ظل الحرب؟ ١٨

1.فراغ القيادة السنية ١٨

2. جاذبية "محور المقاومة" وصناعة الرمز ١٨

3. دور النخب السنية في تسطيح الخلاف العقدي والتاريخي ١٩

4. السردية الدينية والمهدوية ٢٠

5. الدعم المالي والاجتماعي (القوة الناعمة) ٢٠

6. تأثير الإعلام الرقمي وإعادة تشكيل الوعي ٢٠

7.ضعف التأصيل الشرعي وهشاشة الوعي العقدي ٢١

8. أثر الفكر الوطني الضيق (القومية السياسية) ٢١

9. ضعف الذاكرة التاريخية وغياب الوعي بالتجارب السابقة ٢١

10.الحاجة النفسية إلى "نموذج قوي" في زمن الضعف ٢٢

الخلاصة الثالثة ٢٢

كيف حصل ذلك؟ ٢٢

1. الإعلام والبروباغندا ٢٢

2. دور إعلام المقاومة الفلسطينية في إعادة تشكيل الصورة ٢٣

3. المنح الدراسية والتبادل الثقافي ٢٤

.4 العمل الإنساني الممنهج (القوة الناعمة الميدانية) ٢٤

الخلاصة الرابعة ٢٤

استراتيجية ولاية الفقيه حاضرة في المشاهد ٢٥

استمرار سياسات الاضطهاد والقمع ضد المسلمين السنة في إيران واليمن والعراق ٢٧

أولاً: وضع المسلمين السنة في إيران ٢٧

ثانياً: وضع المسلمين السنة في اليمن (تحت سيطرة الحوثيين) ٢٩

ثالثاً: العراق بين ما بعد الصراع وهيمنة الفصائل ٣٠

ضعف الذاكرة التاريخية أو تجاهلها؟ ٣١

الخلاصة الرابعة ٣٢

التحديات والمآلات المستقبلية ٣٣

الخاتمة والتوصيات ٣٥

مقدمة

يشهد العالم الإسلامي اليوم تحولات جيوسياسية ودينية متسارعة، تتداخل فيها الصراعات الإقليمية مع التحولات المذهبية في مشهد بالغ التعقيد. وفي قلب هذه التحولات، تبرز المواجهة المستمرة بين إيران و"إسرائيل" بوصفها أحد العوامل المؤثرة التي تتجاوز بعدها العسكري المباشر، لتُلقي بظلالها على البنية الفكرية والمذهبية في عدد من المجتمعات الإسلامية، بما في ذلك بيئات ظلّت تاريخيًا على انتمائها السني.

في هذا السياق، لم يعد من الممكن قراءة هذه المواجهة بمعزل عن آثارها غير المباشرة، حيث تتقاطع مع تحولات في الوعي، وإعادة تشكيل في التصورات، وانزياحات في الانتماء المذهبي لدى بعض الشرائح. ومن هنا، يسعى هذا البحث إلى رصد ظاهرة تنامي التشيع واعتناق المذهب الشيعي أو مناصرته في بعض الأوساط، عبر تحليل مؤشراتها، واستكشاف دوافعها العميقة، وتفكيك الآليات التي يتم من خلالها هذا التحول.

وتنطلق هذه الدراسة من فرضية مفادها أن الصراع، رغم طابعه السياسي والعسكري الظاهر، بات يُستثمر ضمن أدوات "القوة الناعمة"، حيث تُوظَّف الأحداث الكبرى لإعادة تشكيل الصورة الذهنية، والتأثير في الولاءات، وتوجيه الانتماءات. ومن ثم، فإن فهم هذه الظاهرة لا يكتمل إلا بقراءتها ضمن هذا الإطار الأوسع، الذي تتقاطع فيه السياسة بالعقيدة، والإعلام بالهوية، والصراع بالتحولات العميقة في بنية المجتمعات.

رصد الظاهرة: مؤشرات ارتفاع نسبة التشيع

1. الحراك الرقمي والشعبي: التعاطف مع إيران

تشير جملة من المؤشرات المتراكمة إلى تصاعد ملحوظ في مستويات التعاطف الشعبي مع إيران داخل بعض الأوساط في العالم الإسلامي، خاصة في ظل المواجهة مع "إسرائيل". غير أن هذا التعاطف- الذي يمكن توصيفه بـ"التشيع السياسي"- لا يُعبّر بالضرورة عن تحول مذهبي مباشر بقدر ما يُشكّل أرضية نفسية وفكرية مهيأة لمثل هذا التحول.

ففي عدد من الدول ذات الغالبية السنية، برز خطاب متنامٍ يُعيد تأطير الموقف الإيراني باعتباره نموذجًا للمقاومة في مقابل ما يُنظر إليه كعجز أو تراجع في المواقف الرسمية العربية التي لا تُعتبر - واقعًا - ممثلة لمواقف شعوبها. هذا التحول في الإدراك لا يقتصر على النخب، بل يمتد إلى شرائح واسعة من الجمهور، ويتغذى بشكل أساسي عبر الفضاء الرقمي، حيث أصبحت منصات التواصل الاجتماعي ساحة مركزية لإعادة تشكيل الوعي وتوجيه الانطباعات.

وتظهر هذه الديناميكية بوضوح في انتشار المحتوى الذي يُضخّم من الدور الإيراني، ويُعيد تقديمه في صورة فاعل مركزي في معادلة الصراع، مقابل خطاب نقدي حاد تجاه مواقف الحكومات العربية والذي يتعمد - بتدليس - اختزال واقع أهل السنة جميعًا بربطه بمواقف الحكومات التي لا تمثله. ومع تكرار هذا النمط، لا يتشكل مجرد تعاطف عابر، بل تتبلور حالة من الاصطفاف العاطفي والفكري، قد تتجاوز البعد السياسي إلى إعادة النظر في المرجعيات والانتماءات.

وفي هذا السياق، تتجلى ملامح استقطاب حاد داخل البيئة السنية نفسها، حيث تتحول المواقف السياسية إلى معايير للفرز والاتهام. فقد أُشير في بعض الطروحات

إلى أن من ينتقد إيران يُواجَه أحيانًا باتهامات جاهزة، من قبيل ربط موقفه بالانحياز للعدو، فيصنّف بـ "المتصهين" وهو تصنيف جلب بدوره تصنيفًا آخر على النقيض منه بوصف "المتأيرن"، وكأن رفض سياسات طهران يستلزم بالضرورة تأييد خصومها. وهذا النمط من التفكير يعكس درجة عالية من التوتر والانقسام، ويكشف كيف يمكن أن ينزلق التعاطف السياسي إلى حالة من التماهي، تُمهد - ولو بشكل غير مباشر- لتحولات أعمق في البنية الفكرية والمذهبية.

1. نمو المجتمعات الشيعية في أفريقيا: نيجيريا نموذجًا

تُعد نيجيريا من أبرز النماذج التي تعكس التحول الكمي والكيفي في انتشار التشيع داخل القارة الأفريقية. فبعد أن كان الوجود الشيعي فيها محدودًا قبل عقود قليلة، تشير تقديرات متداولة اليوم إلى أعداد تتراوح بين عدة ملايين، في مؤشر لافت على توسّع لا يمكن تفسيره بعامل واحد أو ظرف عابر.

هذا النمو لم يكن وليد الصدفة، بل جاء نتيجة تداخل عوامل داخلية وخارجية، في مقدمتها النشاط الدعوي المنظم والمدعوم، الذي تسارع منذ انتصار الثورة الإيرانية عام 1979، وما رافقه من بناء شبكات تعليمية وثقافية واجتماعية تستهدف فئات بعينها، خاصة الشباب والطبقات المتعلمة.

وفي هذا السياق، أسهم تصاعد الخطاب المرتبط بـ"المقاومة" – لا سيما في ظل المواجهات الإقليمية– في تعزيز جاذبية النموذج الإيراني، حيث يُعاد تقديمه بوصفه نموذجًا صلبًا في مواجهة الهيمنة الغربية و"إسرائيل". هذا التقديم لا يعمل فقط على مستوى السياسة، بل يتجاوز ذلك ليُنتج حالة من الإعجاب الرمزي، قد تتطور لدى بعض الفئات إلى تقبّلٍ مذهبي، أو على الأقل إلى إعادة النظر في المسلمات السابقة.

وعليه، فإن حالة نيجيريا لا تمثل مجرد توسع عددي، بل تعكس ديناميكية أعمق، تتداخل فيها الهوية بالدعوة، والسياسة بالعقيدة، ضمن مسار تدريجي يعيد تشكيل الخريطة المذهبية في بعض البيئات السنية.

2. ظاهرة "المستبصرين" في جنوب شرق آسيا

تُمثّل ظاهرة ما يُعرف بـ"الاستبصار"- أي التحول من المذهب السني إلى الشيعي- أحد أبرز المؤشرات النوعية على التحولات المذهبية التي تتخذ طابعًا فرديًا ثم تتوسع في بعض البيئات. وقد برزت هذه الظاهرة بوضوح في جنوب شرق آسيا، لا سيما في إندونيسيا وماليزيا، حيث تتقاطع عوامل فكرية واجتماعية وسياسية لتُنتج مسارًا مركّبًا من التحول.

ورغم صعوبة ضبط الأرقام بدقة، فإن المؤشرات الميدانية والدراسات المتفرقة تؤكد وجود حالات تحول حقيقية، خاصة بين بعض النخب المثقفة وشرائح من الشباب الباحث عن هوية أكثر تماسكًا ومعنى أعمق للانتماء، في ظل واقع متغير وضاغط يطرح أسئلة كبرى حول الدين والسياسة والعدالة.

وقد أسهم الخطاب الإيراني - بما يحمله من شعارات العدالة ومقاومة الهيمنة- في استقطاب هذه الفئات، حيث يُقدَّم بوصفه مشروعًا جامعًا بين البعد العقدي والحضور السياسي الفاعل. ومع تكرار هذا الخطاب وتكثيف حضوره في الفضاء الإعلامي، لا يظل تأثيره محصورًا في التعاطف السياسي، بل يتسلل تدريجيًا إلى البنية الفكرية، وقد يمتد لدى بعض الحالات إلى إعادة تشكيل القناعات المذهبية.

ورغم ما يواجهه الوجود الشيعي في هذه الدول من قيود مجتمعية أو قانونية، فإن موجات التعاطف الشعبي مع إيران في سياقات الصراع- خصوصًا في مواجهة "إسرائيل"- تُسهم في تهيئة بيئة نفسية أقل حساسية تجاه هذا التحول، وربما أكثر تقبّلًا له، بما يعكس تحوّلًا تدريجيًا في المزاج العام لدى بعض الشرائح.

3. التشيع في تونس: بين الحضور الرمزي والجدل السياسي

لا يشكل الشيعة في تونس طائفة منظمة أو معترفاً بها رسمياً، إلا أن حضورهم أصبح أكثر بروزاً في السنوات الأخيرة (2024–2025). تشير تقديرات غير رسمية إلى أن أعداد المتشيعين تتراوح بين 3,000 إلى 8,000 شخص، وهو ما يمثل أقل من 0.1% من إجمالي السكان . يتركز الوجود الشيعي بشكل أساسي في العاصمة تونس، بالإضافة إلى بعض المناطق الجنوبية مثل قابس وقفصة.

وقد ساهمت عدة عوامل في انتعاش هذه الظاهرة في تونس .

أولًا، التحولات في البيئة السياسية، بما في ذلك بوادر تقارب نسبي بين السلطات التونسية وإيران، وما رافق ذلك من تخفيف نسبي للقيود على بعض الأنشطة الإيرانية ذات الصلة، مما أتاح هامشًا أوسع للحضور المذهبي المرتبط بها.

ثانيًا، تأثير المشهد الإقليمي، حيث أفرزت المواجهة الإيرانية مع "إسرائيل" حالة من التعاطف الرمزي لدى بعض الأفراد، تجلت في إعلان التحول المذهبي في بعض الحالات، بوصفه تعبيرًا عن الانحياز لما يُسمّى بـ"محور المقاومة"، في تداخل واضح بين السياسي والمذهبي.

ثالثًا، انتقال التشيع من كونه مسألة عقدية محضة إلى ساحة سجال فكري وسياسي، يُطرح ضمن مفاهيم مثل "السيادة" و"مواجهة الهيمنة"، وهو ما منحه بعدًا أيديولوجيًا يتجاوز الإطار الديني التقليدي، ويجعله جزءًا من خطاب أوسع يعيد تعريف الانتماء والموقف.

وعليه، فإن الحالة التونسية – رغم محدوديتها العددية– تكشف عن نمط جديد من التمدد، يقوم على الرمزية والتوظيف السياسي، أكثر من اعتماده على الانتشار الجماهيري التقليدي.

4. التشيع في مصر: الميراث العبيدي والواقع المعاصر

يواجه الوجود الشيعي في مصر تحديات مركّبة، قانونية ومجتمعية، في ظل عدم الاعتراف الرسمي بالمذهب، وتحفّظ المؤسسات الدينية التقليدية عليه، وفي مقدمتها الأزهر. كما تتباين التقديرات بشأن أعداد الشيعة بشكل كبير؛ إذ تتراوح بين أرقام يطرحها بعض النشطاء، وأخرى أكثر تحفظًا صادرة عن مراكز بحثية، ما يعكس صعوبة القياس في بيئة يغلب عليها الطابع غير المنظّم لهذا الحضور.

ومع ذلك، فإن محدودية العدد لا تعني غياب التأثير أو انعدام المؤشرات. فقد شهدت السنوات الأخيرة تحولات لافتة في المزاج الشعبي، خاصة في ظل التصعيد الإقليمي في غزة ولبنان (2023–2025)، حيث برزت موجات تعاطف مع أطراف مرتبطة بإيران، انعكست في تراجع نسبي لحدة الخطاب المعادي للشيعة في بعض الأوساط.

وتُعد الساحة الرقمية في مصر أحد أبرز ميادين هذا التحول؛ إذ لوحظ نشاط متزايد لصفحات ومنصات تُروّج للفكر الشيعي بأساليب غير مباشرة، غالبًا عبر مدخل "محبة آل البيت"، وهو مدخل ذو جاذبية تاريخية وعاطفية راسخة في المجتمع المصري. هذا التوظيف الذكي للرمزية الدينية يتيح تمرير مضامين أعمق، في سياق تدريجي لا يصطدم مباشرة مع البنية العقدية السائدة.

كما يمكن ملاحظة محاولات لإحياء بعض الرموز التاريخية ذات الصلة بالحقبة العبيدية (الفاطمية)، وإعادة تقديمها في إطار ثقافي أو تراثي، بما يسهم– ولو بشكل غير مباشر– في تليين المواقف تجاه التشيع، وربطه بجذور محلية بدل اعتباره وافدًا بالكامل.

وعليه، فإن الحالة المصرية تكشف عن نمط "الانتشار الهادئ"، الذي لا يقوم على الظهور الصريح، بل على التغلغل الرمزي والثقافي، مستفيداً من التحولات الإقليمية والفضاء الرقمي المفتوح.

5. واقع التشيع في الجزائر: التاريخ والوضع الراهن

تاريخياً، لا يمكن إنكار وجود جذور للتشيع في الجزائر خلال فترات معينة، مثل الدولة الرستمية. ومع ذلك، فإن الجزائر اليوم ذات غالبية سنية مالكية ساحقة. تثير مسألة التشيع في الجزائر جدلاً متجدداً، حيث تتراوح التقديرات حول أعداد المتشيعين بين 3,000 وفقاً لتقديرات محلية سلفية، و75,000 حسب بعض المواقع الشيعية. ومع ذلك، فإن هذه الأرقام غير رسمية ويصعب التحقق منها بدقة نظراً للطابع السري الذي يكتنف هذا النشاط .

يتركز النشاط الشيعي في بعض الولايات الجزائرية مثل وهران، سطيف، مستغانم، باتنة، وعين تموشنت، بالإضافة إلى مناطق في الصحراء الجزائرية. وتتم آليات نشر التشيع عبر عدة قنوات، منها الجامعات وبعض المساجد، والبعثات الدراسية إلى الحوزات العلمية في إيران والعراق، بالإضافة إلى استخدام الإنترنت والقنوات الفضائية.

يواجه التشيع في الجزائر مقاومة شديدة من التيار السلفي وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الذين يعتبرونه "خطراً عقدياً وأمنياً" يهدد المرجعية الدينية الوطنية للبلاد .

مع ذلك كان للمواجهة الإيرانية الإسرائيلية تأثيرها على المناصرة الشيعية عالمياً وفي الجزائر حيث شهدت الفترة الأخيرة، لا سيما مع تصاعد التوترات بين إيران و"إسرائيل"، تحولات في الرأي العام في الجزائر، إذ أدت الردود العسكرية الإيرانية ضد "إسرائيل" إلى حالة من "الإعجاب العاطفي" لدى جزء من الشارع الجزائري، الذي رأى في إيران الدولة الوحيدة التي "تجرأت" على ضرب "إسرائيل" مباشرة ,

لقد أصبح جزء كبير من الجزائريين يميل إلى دعم إيران "سياسياً" كقوة مقاومة لإسرائيل، خاصة في ظل أحداث غزة التي زادت من رصيد إيران وحلفائها (محور المقاومة) في الوجدان الجزائري. هذا الدعم السياسي لا يعني بالضرورة قبولاً للتشيع العقدي.

6. دول أخرى شهدت انتعاشاً للظاهرة

لا يقتصر رصد الظاهرة على حالات محددة، بل تشير المعطيات إلى نمط انتشار مرن ومتعدد المسارات، يتكيّف مع طبيعة كل بيئة، مستفيدًا من الفراغات السياسية والاجتماعية والثقافية.

- **دول الساحل الأفريقي (مالي، بوركينا فاسو، النيجر)**

في ظل الانسحاب النسبي للقوى الغربية وتراجع نفوذ بعض الحكومات المركزية، برزت بيئات رخوة أمنيًا واجتماعيًا، استُثمرت عبر تقديم مساعدات إنسانية، وبناء مؤسسات تعليمية وثقافية ذات طابع ديني. هذا الحضور لا يقتصر على الإغاثة، بل يمتد إلى بناء ولاءات طويلة الأمد، قد تُفضي إلى تحولات مذهبية تدريجية، خاصة في المجتمعات ذات البنية الدينية الهشة أو غير المؤدلجة.

- **ساحل العاج وغرب أفريقيا**

تُشكّل الجاليات اللبنانية الشيعية- التي تمتلك حضورًا اقتصاديًا قويًا- مدخلًا مهمًا لنقل التأثير الثقافي والديني. ومن خلال المراكز الثقافية والمؤسسات التعليمية، يجري بناء جسور مع المجتمعات المحلية، ما يساهم في جذب فئات جديدة، خاصة في المدن الكبرى مثل أبيدجان. ويُلاحظ هنا تداخل الاقتصاد بالدعوة، في نموذج تأثير غير مباشر لكنه فعّال.

- **إندونيسيا وجنوب شرق آسيا**

رغم القيود والتحديات التي يواجهها الشيعة، فإن التحولات في الوعي الشبابي، خاصة في الأوساط الجامعية، تفتح مساحات جديدة للتأثر. وقد ساهمت الأحداث الإقليمية، والتغطيات الإعلامية المكثفة، في إثارة فضول معرفي تجاه المذهب الشيعي، يُترجم أحيانًا إلى بحث فكري أو تقارب تدريجي، خصوصًا لدى الفئات التي تبحث عن خطاب "مقاوم" أو بديل أيديولوجي.

- **اليمن والبحرين**

في بعض البيئات التي تشهد حضورًا شيعيًا تاريخيًا، يُلاحظ تحوّل في طبيعة التأثير من مجرد وجود مذهبي إلى مشروع سياسي-عسكري منظم، كما في حالة الحوثيين

في اليمن، حيث تداخلت العقيدة مع القوة المسلحة، مما منح التشيع بعدًا سلطويًا مباشرًا. وفي البحرين، يتجلى البعد السياسي في توظيف الهوية المذهبية ضمن صراع داخلي وإقليمي، يعكس تعقيد العلاقة بين الانتماء الديني والاصطفاف السياسي.

- **الغرب والشتات الإسلامي**

لا يمكن إغفال دور الجاليات في الغرب وأمريكا اللاتينية، حيث تُستثمر بيئات الحرية الدينية في نشر المراكز الثقافية الشيعية والفعاليات الفكرية المناصرة لها، ما يفتح مجالًا للتأثير على فئات من المسلمين، خاصة من الجيل الثاني والثالث، الذين يعيشون أزمة هوية ويبحثون عن أطر فكرية بديلة. فضلا عن المعتنقين الجدد للإسلام وكل من يحمل بغضا للرأسمالية الغربية.

تكشف هذه النماذج عن نمط انتشار غير تقليدي، لا يعتمد على القوة المباشرة، بل على مزيج من القوة الناعمة، والتوظيف السياسي، والاختراق الثقافي. وهو ما يجعل الظاهرة أكثر تعقيدًا، إذ لا تُقاس بحجم الأعداد فقط، بل بعمق التأثير، وطبيعة المسارات التي تتخذها داخل المجتمعات.

يوضح الرسم البياني التالي التقديرات السكانية للشيعة في بعض الدول:

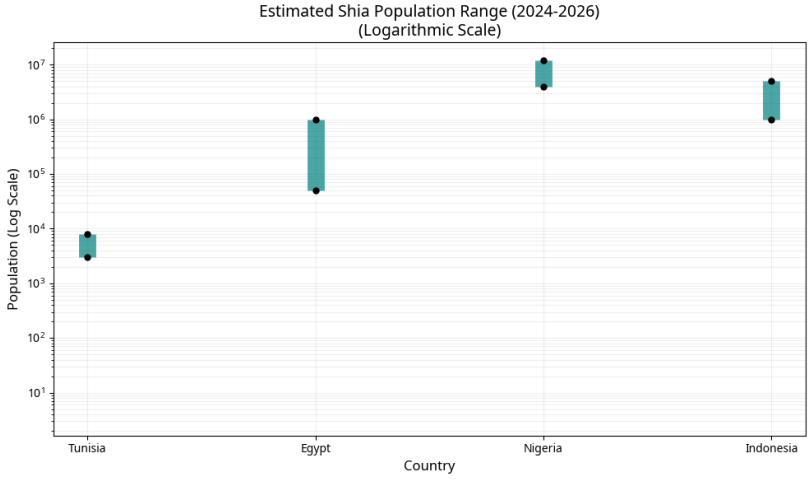

الخلاصة الأولى

تُظهر المعطيات الميدانية أن ظاهرة التشيع لا تتحرك وفق نمط واحد في العالم الإسلامي، بل تتخذ أشكالًا متعددة تبعًا لطبيعة البيئة الاجتماعية والسياسية والثقافية لكل بلد. ففي دول مثل مصر وتونس والجزائر، يغلب على الظاهرة الطابع النخبوي أو الفردي، حيث تتم عبر مسارات هادئة، غالبًا في الأوساط المثقفة أو عبر التأثير الرقمي والرمزي، دون أن تتحول إلى كتلة جماعية منظمة ذات حضور ديموغرافي واضح.

في المقابل، نجد نماذج أخرى -مثل نيجيريا وبعض دول غرب أفريقيا- حيث تجاوز التشيع هذا الطور، ليصبح حضورًا جماعيًا ذا ثقل عددي وتنظيمي، مدعومًا بشبكات دعوية ومؤسسات تعليمية وخيرية، ما يمنحه قابلية أكبر للاستمرار والتوسع.

أما في مناطق مثل الساحل الأفريقي، فإن الظاهرة تأخذ شكل التمدّد المرن، مستفيدة من الفراغات الأمنية والسياسية، عبر بوابات العمل الإنساني والثقافي، بينما في جنوب شرق آسيا تتجلى في صورة تحولات فكرية فردية مرتبطة بالبحث عن هوية ومعنى، خصوصًا بين الشباب والنخب.

وفي بيئات أخرى- كاليمن والبحرين- يتخذ التشيع بُعدًا مختلفًا، حيث يتداخل مع المشروع السياسي والسلطوي، ويتحول من مجرد انتماء مذهبي إلى فاعل مؤثر في معادلات القوة والصراع.

كما لا يمكن إغفال دور الجاليات في الغرب وأمريكا اللاتينية، حيث تُستثمر مساحات الحرية لبناء حضور ثقافي وفكري شيعي عابر للحدود، يفتح قنوات تأثير جديدة، خاصة لدى الأجيال التي تعيش حالة بحث عن هوية.

ضمن هذا المشهد المتعدد، تبرز المواجهة الإيرانية مع "إسرائيل" بوصفها عامل تحفيز مركزي، أعاد تشكيل المزاج العام في بعض البيئات، وساهم في نقل التشيع - في بعض الحالات- من حالة الانكفاء أو السرية إلى حيز التعبير العلني أو التعاطف المفتوح .هذا التحول لا يعني بالضرورة انتقالًا مذهبيًا مباشرًا، لكنه يصنع بيئة نفسية وفكرية مهيأة، تُضعف الحواجز التقليدية، وتفتح المجال لتحولات تدريجية أعمق.

وعليه، فإن فهم الظاهرة لا يكتمل بالنظر إلى الأعداد فقط، بل يتطلب قراءة خرائط التأثير: أين يتحرك التشيع كفكرة؟ وأين يتموضع كمشروع؟ وأين يتسلل كتعاطف؟ فهذه المستويات المتداخلة هي التي تُشكل في مجموعها ديناميكية التحول المذهبي في العالم الإسلامي اليوم.

أسباب الصعود: لماذا ينجذب السنة للتشيع في ظل الحرب؟

لا يمكن فهم ظاهرة تنامي التعاطف مع التشيع – وأحيانًا التحول إليه – بمعزل عن جملة من العوامل المتداخلة، التي تجمع بين السياسي والفكري والنفسي والاجتماعي. وهذه أبرزها:

1.فراغ القيادة السنية

يُعد غياب موقف سني جامع وواضح تجاه القضايا الكبرى – وفي مقدمتها الصراع مع "إسرائيل" – أحد أبرز محفزات هذا التحول. ففي ظل التباين، أو التردد، أو الانخراط في مسارات التطبيع لدى بعض الأنظمة، بالموازاة مع حرب شرسة على كل جماعة إسلامية تحاول النهوض أو الاستقلال عن نظام الهيمنة، يتشكل لدى قطاعات من الجمهور شعور بفقدان المرجعية القادرة على التعبير عن تطلعاتهم.

في هذا الفراغ، تبرز إيران بوصفها فاعلًا حاضرًا بخطاب صدامي واضح، ما يمنحها جاذبية رمزية تتجاوز بعدها السياسي إلى التأثير في الوعي والانتماء. فالمشكلة هنا ليست في قوة النموذج الآخر بقدر ما هي في غياب البديل المقنع.

2. جاذبية "محور المقاومة" وصناعة الرمز

نجحت إيران في تقديم نفسها ضمن إطار "محور المقاومة"، عبر ربط مشروعها بحركات مسلحة ذات حضور ميداني، مثل حزب الله وبعض الفصائل الفلسطينية. هذا الربط أنتج صورة ذهنية قوية: نموذج "المقاوم الصامد" في مواجهة قوى كبرى.

ومع تكرار هذا النموذج إعلاميًا، يتحول من موقف سياسي إلى رمز ملهم، خاصة لدى الشباب الذين يبحثون عن معنى للقوة والكرامة. وهنا تتجاوز الجاذبية حدود السياسة، لتلامس البعد النفسي والرمزي، وقد تُمهّد لقبول أوسع يتجاوز التعاطف إلى التماهي.

3. دور النخب السنية في تسطيح الخلاف العقدي والتاريخي

برز في السنوات الأخيرة دورٌ ملحوظ لبعض النخب الفكرية والإعلامية التي تأثرت بدعاية ما يُعرف بـ"المحور الإيراني"، حيث ساهمت - بشكل مباشر أو غير مباشر- في إعادة تشكيل الوعي الجمعي تجاه إيران والتشيع. فقد عملت هذه النخب على تمييع البعد العقدي للقضية، عبر اختزال الخلاف في إطار سياسي مرحلي، وتقديمه على أنه مجرد اختلاف في "الاجتهادات" أو "التحالفات"، لا في الأصول والمعتقدات. ومع تكرار هذا الطرح، نشأ خطاب يُضخّم صورة إيران بوصفها نموذجًا للمقاومة، ويُنتج حالة من الإعجاب والانجذاب العاطفي، مقابل تهوين الخلافات العقدية أو تجاهلها تمامًا، بل وفي بعض الأحيان إعادة تأويلها بما يخفف من حدّتها.

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل تجاوزه إلى طمس أو تبييض بعض صفحات التاريخ المرتبطة بالصراع المذهبي، أو التعامل معها بانتقائية شديدة تخدم السردية المعاصرة. وفي موازاة ذلك، جرى - عن قصد أو عن غير قصد- إبراز نماذج سنية باهتة أو منهزمة فكريًا، تتبنى خطابًا مائعًا أو محبطًا، وتُقدَّم في الفضاء الإعلامي على أنها ممثلة لأهل السنة، بما يعزز صورة سلبية عن الخطاب السني ويُفقده جاذبيته وتأثيره. هذا التباين المصنوع بين "نموذج مقاوم جذاب" و"نموذج سني ضعيف أو مرتبك" يُسهم في توجيه البوصلة النفسية والفكرية لدى بعض المتلقين، ويفتح الباب- تدريجيًا- أمام تقبل أوسع للسردية الإيرانية، بل وربما التحول المذهبي عند بعض الفئات.

وقد وُجهت تهم إلى بعض النخب والحسابات المؤثرة - المحسوبة على أهل السنة- بتلقي تمويل إيرانيّ لوظيفتها في تهوين الخلافات مع الشيعة وتزيين صفحة إيران تزامنا مع الإمعان في تحقير أهل السنة. بينما تستمر نخب في إمساك العصا من

المنتصف خشية خسارة متابعيها وجمهورها المتعاطف مع المحـور الإيرانـي، ممـا زاد من ضبابية المواقف.

4. السردية الدينية والمهدوية

تُوظَّـف السـرديات الدينيـة- وخاصـة المرتبطـة بالبعـد المهـدوي- في إضـفاء طـابع قدسي على الصراع، حيث يُقدَّم ضمن إطار كوني يتجاوز اللحظة السياسية. هذا الربط بين الواقع والنبوءة يمنح الأحداث معنى أعمـق، ويصـنع حالـة تعبئـة وجدانيـة لـدى بعض الفئات المتدينة.

ومع أن الفارق العقدي بين السنة والشيعة في هذه المسائل كبير، فإن قـوة السـردية وقدرتها على مخاطبة العاطفة قد تتجاوز هذا الفارق لدى من يفتقرون إلـى التأصـيل العلمي المتين.

5. الدعم المالي والاجتماعي (القوة الناعمة)

تلعب أدوات القوة الناعمة دورًا محوريًا في ترسيخ النفـوذ؛ مـن خـلال بنـاء مؤسسـات تعليمية، ومراكز ثقافية، وتقديم مساعدات إنسانية ومـنح دراسـية. هـذه الشـبكات لا تقتصر على تلبية الحاجات المادية، بـل تُنشـئ علاقـات ولاء ممتـدة، وتفـتح قنـوات تأثير طويلة الأمد.

وفي البيئات الهشة أو المهمشة، يصبح هذا الدعم مدخلًا فعالًا للتأثير، وقد يتحـول - بالتدريج- إلى بوابة لتغيير القناعات والانتماءات.

6. تأثير الإعلام الرقمي وإعادة تشكيل الوعي

أصبح الفضاء الرقمي ساحة مركزيـة لإعـادة صـياغة التصـورات، حيـث تنتشـر مقـاطع وتحلـيلات تُضـخّم أدوارًا معينـة، وتُعيـد تـأطير الصـراع ضـمن ثنائيـة حـادة مجحفـة: "مقاومة" مقابل "تخاذل".

هـذا الـنمط مـن التلقـي السـريع والمكثـف يُنـتج وعيًـا مختزلًـا، يغلـب عليـه الطـابع العاطفي، ويُضعف القدرة على التمييز والتحليل، ما يجعل بعض المتلقين أكثر قابلية للانجذاب نحو الخطاب الأكثر حضورًا وتأثيرًا.

7.ضعف التأصيل الشرعي وهشاشة الوعي العقدي

من العوامل الجوهرية في تفسير الظاهرة ضعف البناء العقدي لدى الكثير مـن الفئـات والنخـب، حيـث تغيـب المعـايير العلميـة الدقيقـة في تقيـيم الأفكـار والمواقـف، ويُستعاض عنها بالانطباع والعاطفة.

في هـذا السـياق، قـد يتحـول الإعجـاب السياسـي إلـى تقـارب مـذهبي، لأن الحـواجز المعرفية التي تفصل بينهما لم تُبنَ أصلًا على أسس راسخة.

8. أثر الفكر الوطني الضيق (القومية السياسية)

أسـهم صـعود النزعـات الوطنيـة الضـيقة في إعـادة تعريـف الانتمـاء، بحيـث يُقـدَّم "الموقف السياسي" أو "التحالف الإقليمـي" على حسـاب الانتمـاء العقـدي. وفي هـذا الإطار، قد يُنظر إلى إيران- في بعض السـياقات- بوصـفها حليفًـا في مواجهـة عـدو مشترك، بغض النظر عن الاختلاف المذهبي أو السجل التاريخي للعداوة مع الرافضة.

هـذا التحـول في ترتيـب الأولويـات يجعـل الـولاء السياسـي مقـدمًا على المرجعيـة العقدية، ويفتح الباب لتطبيع فكري مع أطروحات مذهبية لم تكن مقبولة سابقًا.

9. ضعف الذاكرة التاريخية وغياب الوعي بالتجارب السابقة

تُعد الذاكرة الجمعية للأمم عنصرًا حاسمًا في تشـكيل مواقفهـا، وحـين تضـعف هـذه الذاكرة، أو تُغيَّب، يصبح المجتمع أكثر عرضة لتكرار الأخطاء.

فكثير من التحولات الحالية تجري بمعزل عن استحضار التجارب التاريخية للصراعات العقدية، أو فهم جذورها ونتائجها، مما يجعل بعض الأفراد يتعاملون مع الظاهرة بسطحية، دون إدراك أبعادها العميقة.

10.الحاجة النفسية إلى "نموذج قوي" في زمن الضعف

في أزمنة الانكسار، يبحث الإنسان بطبيعته عن نموذج يشعره بالقوة والانتصار. ومع تراجع النماذج الملهمة في بعض البيئات السنية، يصبح أي نموذج يظهر بمظهر القوة – ولو كان مختلفًا عقديًا- قادرًا على جذب الانتباه والتأثير.

وهنا يتحول الإعجاب بالقوة إلى مدخل نفسي قد يُفضي إلى تقبل أوسع، خاصة إذا تكرر هذا النموذج في الوعي الجمعي دون وجود بديل منافس.

الخلاصة الثالثة

تكشف هذه العوامل مجتمعة أن الظاهرة ليست نتاج سبب واحد، بل هي نتيجة تفاعل معقد بين الفراغ السياسي، والتأثير الإعلامي، والهشاشة المعرفية، وتضليل النخب، والتحولات النفسية والاجتماعية. وهي في جوهرها تعبير عن أزمة أعمق في بنية الوعي، أكثر من كونها مجرد تحول مذهبي معزول.

كيف حصل ذلك؟

1. الإعلام والبروباغندا

تُعد المنظومة الإعلامية المرتبطة بإيران- بما في ذلك القنوات الفضائية والمنصات الرقمية والجيوش الإلكترونية- أحد أهم أدوات التأثير في تشكيل الوعي العام. فهي لا تكتفي بنقل الأحداث، بل تعيد صياغتها ضمن سردية موحّدة تُبرز إيران بوصفها رأس حربة في مواجهة "إسرائيل" والولايات المتحدة، مقابل تصوير الأنظمة العربية في موقع العجز أو التواطؤ وبالتالي وصم كل أهل السنة بالخذلان.

ويُعزَّز هذا الخطاب عبر التكرار المكثف، وتوظيف المؤثرين، وإضفاء طابع عاطفي على الرسائل، مما يصنع حالة من التلقي غير النقدي لدى قطاعات واسعة، خاصة في البيئات التي تعاني من فراغ إعلامي أو ضعف في الخطاب البديل. ومع الزمن، لا يقتصر الأثر على التعاطف السياسي، بل يمتد إلى إعادة تشكيل التصورات، وربما تليين المواقف تجاه البعد المذهبي المرتبط بهذا الخطاب.

2. دور إعلام المقاومة الفلسطينية في إعادة تشكيل الصورة

لا يمكن إغفال الدور المؤثر والكبير جدًا، الذي لعبه إعلام فصائل المقاومة الفلسطينية والإعلام الرديف التابع له، في إعادة تقديم إيران في الوعي الجمعي العربي والإسلامي. فبحكم موقع هذه الفصائل في قلب الصراع مع "إسرائيل"، تمتلك خطابًا يحظى بقدر كبير من المصداقية والتأثير، ما يجعل الرسائل التي تمر عبره أكثر قابلية للتقبّل.

في هذا السياق، ساهم هذا الإعلام - بشكل مباشر أو غير مباشر- في تلميع صورة إيران، من خلال إبراز دعمها العسكري والمالي للمقاومة، وتقديمها بوصفها داعمًا رئيسيًا لصمود غزة، فضلا عن تعظيم قاداتها وأئمتها وفروعها الإقليمية، بتزكيات الشهادة والثناء، دون موازنة ذلك بصراعات دموية، تتناول أبعادًا أخرى من سياساتها أو ممارساتها العدوانية في ساحات مختلفة من العالم الإسلامي.

ومع التكرار، تشكّلت صورة ذهنية مختزلة تربط إيران حصريًا بـ"الدعم" و"المقاومة"، بينما تراجعت أو غابت - في وعي بعض المتلقين- جوانب أخرى أكثر تعقيدًا، سواء على المستوى الدور السياسي أو الطموح المذهبي. هذا الاختزال أسهم في إعادة تزكية إيران شعبيًا داخل بعض الأوساط السنية، بل وأدى في بعض الحالات إلى تجاوز حساسيات عقدية كانت تُعد سابقًا خطوطًا فاصلة.

كما أن طبيعة الخطاب التعبوي، الذي يركّز على لحظة المواجهة والاصطفاف، دفعت كثيرًا من المتابعين إلى تبنّي مواقف انفعالية تُقدّم "نصرة الحليف" على أي اعتبار آخر، بما في ذلك التقييم المتوازن أو النقدي. وهكذا، أصبح الإعلام المقاوم- دون أن يكون ذلك بالضرورة هدفًا مباشرًا له- أحد القنوات التي ساهمت في إعادة تشكيل

صورة إيران وتخفيف حدة الرفض تجاهها في بعض البيئات، بل وصل الأمر إلى تجنيد شباب السنة في معسكرات أفرعها الإقليمية.

3. المنح الدراسية والتبادل الثقافي

تعتمد إيران على أدوات التعليم والتبادل الثقافي كوسيلة استراتيجية لبناء نفوذ طويل الأمد. إذ تُقدّم منحًا دراسية لطلاب من مختلف الدول الإسلامية للدراسة في مراكزها الدينية، مع توفير امتيازات معيشية وتعليمية جاذبة.

وخلال هذه التجربة، لا يقتصر التأثير على التحصيل العلمي، بل يمتد إلى التفاعل مع بيئة فكرية متكاملة، تتداخل فيها العقيدة مع الرؤية السياسية، ما قد يفضي – في بعض الحالات– إلى إعادة تشكيل القناعات المذهبية. كما تُعزَّز هذه المسارات عبر زيارات دينية وبرامج ثقافية تُرسّخ الروابط وتُعيد إنتاجها في بلدان المنشأ.

4. العمل الإنساني الممنهج (القوة الناعمة الميدانية)

يشكّل العمل الإنساني أحد أبرز أدوات النفوذ غير المباشر، حيث تُقدَّم المساعدات في مناطق الأزمات والكوارث عبر مؤسسات مختلفة، بما يسهم في بناء صورة إيجابية وتعزيز الحضور المحلي.

وفي بعض السياقات، يتجاوز هذا العمل البعد الإغاثي إلى بناء شبكات تأثير طويلة الأمد، ترتبط فيها المساعدة بالانتماء أو القرب الفكري، بشكل مباشر أو غير مباشر. ومع تكرار هذا النمط، يتحول العمل الإنساني إلى مدخل فعّال لكسب التعاطف، وقد يُمهّد– على المدى البعيد– لتحولات أعمق في القناعات والانتماءات.

الخلاصة الرابعة

يتضح أن التحول لم يكن عفويًا، بل هو نتاج منظومة متكاملة من الأدوات: إعلام مؤثر، وسرديات تعبويّة، وشبكات تعليمية، وعمل إنساني موجه، إضافة إلى قنوات غير مباشرة – كإعلام المقاومة– ساهمت في إعادة تشكيل الصورة الذهنية. وهذا ما

يجعل الظاهرة أكثر تعقيداً، إذ تتحرك عبر مسارات متعـددة، تتجـاوز الخطـاب المباشـر إلى التأثير العميق في الوعي.

استراتيجية ولاية الفقيه حاضرة في المشاهد

يمكن ربط كثير من هذه الأدوات والتحركات بإطار أوسع يحكم السياسة الإيرانية، وهو ما يُعرف بعقيدة ولاية الفقيه، التي لا تُفهم بوصفها نظرية فقهية داخلية فحسب، بل كمنظومة شاملة ذات امتدادات سياسية وإستراتيجية عابرة للحدود.

ففي هذا التصور، لا يقتصر دور القيادة الدينية على إدارة الشأن المحلي، بل يمتد ليشمل ما يُعد "رعاية" و"قيادة" للمستضعفين في العالم الإسلامي، وهو ما يُترجم عملياً إلى سعي لبناء نفوذ خارج الحدود عبر أدوات متعددة: دعم الحركات، وتوظيف الإعلام، وتفعيل القوة الناعمة، وربط القضايا السياسية- وفي مقدمتها الصراع مع "إسرائيل"- بسردية دينية تُكسبها بعداً شرعياً جامعاً.

ومن هنا، يمكن فهم تلاقي هذه الأدوات- الإعلام، والدعم، والخطاب التعبوي- ضمن رؤية أوسع تهدف إلى إعادة تشكيل دوائر التأثير والولاء، بحيث لا تبقى محصورة في الإطار القومي أو الوطني، بل تمتد إلى إطار عابر للحدود يرتبط بالمركز القيادي في طهران. وهذا لا يعني بالضرورة أن كل من يتأثر بهذه الأدوات يتبنى هذا الإطار العقدي بالكامل، لكنه يفسر كيف يمكن أن تتحول أدوات سياسية وإعلامية إلى جسور تمهّد - بدرجات متفاوتة- لتقبل أوسع لهذا النموذج أو التماهي معه في بعض البيئات بغض النظر عن أهدافه السيادية البعيدة.

وهنا تتأكد الحاجة إلى العودة الواعية لأدبيات "ولاية الفقيه"، لا بوصفها نظرية فقهية مجردة، بل كإطار حاكم لمشروع سياسي عابر للحدود، يقوم على أسس محددة، ويتوسل بوسائل متعددة لتحقيق غاياته. إن فهم هذه الأدبيات، وتحليل أهدافها وأدواتها، يُعد مدخلًا ضرورياً لتفكيك الاستراتيجية الإيرانية ذات الطابع القومي التوسعي، التي تمزج بين البعد المذهبي والبعد الجيوسياسي في آنٍ واحد. وبدون هذا التفكيك النقدي، يبقى الوعي أسير الصور الدعائية السطحية، وتظل

المسافة شاسعة بين حقيقة المشروع كما هو، وبين ما يتخيله بعض المعجبين ببريق القوة العسكرية ومظاهرها، دون إدراك عميق لخلفياتها ومساراتها ومآلاتها.

استمرار سياسات الاضطهاد والقمع ضد المسلمين السنة في إيران واليمن والعراق

نتناول فيما يلي بالتحليل والرصد أنماط القمع والانتهاكات التي يتعرض لها المسلمون السنة في كل من إيران واليمن، مع إضاءة مهمة على العراق بوصفه ساحة مركزية لهذه الإشكالية. ويهدف إلى كشف طبيعة هذه السياسات، ومدى منهجيتها، مع إبراز التناقض الصارخ بين الخطاب السياسي الخارجي لبعض هذه الأطراف – الذي يسعى لكسب تعاطف الشارع السني– وبين واقع الممارسات الداخلية التي تُظهر أنماطًا من التمييز والإقصاء والقمع.

أولاً: وضع المسلمين السنة في إيران

تؤكد تقارير حقوقية متعددة استمرار سياسات التمييز والتضييق ضد المسلمين السنة، خاصة في الأقاليم ذات الغالبية السنية مثل سيستان وبلوشستان وكردستان، حيث تتقاطع العوامل المذهبية مع التهميش الاقتصادي والسياسي.

في إيران، تم توثيق اعتقالات واسعة ضد نشطاء حقوقيين ودعاة ومثقفين سنة، خاصة في كردستان وبلوشستان، ترافقها عمليات اختفاء قسري وإخفاء مكان المعتقلين لفترات طويلة، وغالباً بدون محاكمات عادلة، ما يفاقم حالة الخوف والضغط النفسي بين السكان. وقد رُصدت أيضاً أحكام إعدام طالت العديد من المعتقلين السنة بتهم فضفاضة، مثل "الإفساد في الأرض" أو "التمرد على الدولة"، غالباً في سياق حملات أمنية مكثفة ضد الاحتجاجات الشعبية.

1. القمع الممنهج والتمييز الديني

تُمارس السلطات الإيرانية قيوداً واسعة على الأنشطة الدينية والثقافية للسنة، تشمل التضييق على بناء المساجد، وتقييد التعليم الديني، ومنع التمثيل العادل في المؤسسات الرسمية. كما شهدت الفترة (2024–2025) تصاعداً لافتًا في وتيرة

الإعدامات، استهدفت – بنسب ملحوظة– أفرادًا من الأقليات السنية، خاصة البلوش والأكراد، تحت تهم فضفاضة مثل "الإفساد في الأرض" و"التمرد."

وتشير تقارير حقوقية إلى استخدام أساليب قاسية في الاعتقال، تشمل التعذيب وسوء المعاملة، بل وتوثيق انتهاكات جسيمة خلال فترات الاحتجاجات، ما يعكس طبيعة أمنية صارمة في التعامل مع هذه المناطق.

2. سيستان وبلوشستان: التهميش المركب

تُعد هذه المنطقة نموذجًا صارخًا لتداخل التمييز المذهبي مع الإقصاء الاقتصادي. فبالإضافة إلى ضعف التنمية وارتفاع معدلات الفقر، تتكرر حوادث استخدام القوة المفرطة ضد المدنيين، خصوصًا ما يُعرف بـ"الوقوديين"، الذين غالبًا ما يكونون من السنة البلوش.

كما تستمر الاحتجاجات الشعبية، خاصة في زاهدان، في مواجهة رد أمني مكثف، يعكس حالة احتقان مزمنة بين المجتمع المحلي والسلطات.

3. كردستان: القمع الأمني وتقييد الحريات

في المناطق الكردية، يتخذ القمع طابعًا مزدوجًا: سياسيًا وأمنيًا. إذ يواجه النشطاء أحكامًا قاسية، تصل إلى الإعدام، بتهم تتعلق بالأمن القومي، في حين تتعرض المؤسسات التعليمية لضغوط، تشمل فصل طلاب وأساتذة على خلفية مشاركتهم في احتجاجات أو تعبيرهم عن آراء معارضة.

4. التناقض بين الخطاب الخارجي والممارسة الداخلية

في الوقت الذي تسعى فيه إيران لتقديم نفسها كمدافع عن قضايا الأمة – وفي مقدمتها القضية الفلسطينية – تكشف ممارساتها الداخلية عن واقع مختلف، حيث يُواجه المواطنون السنة قيودًا منهجية. هذا التناقض يطرح تساؤلات جوهرية حول طبيعة الخطاب الإيراني وحدوده، ومدى اتساقه مع السياسات الفعلية.

ثانياً: وضع المسلمين السنة في اليمن (تحت سيطرة الحوثيين)

تشير المعطيات إلى أن جماعة الحوثي التابعة لإيران، تنتهج سياسات تهدف إلى إعادة تشكيل الهوية الدينية في مناطق سيطرتها، مع استهداف واضح للبنية الدينية والتعليمية السنية.

1. القمع المذهبي وتجريف الهوية

أقدمت الجماعة على إغلاق العديد من مراكز التعليم الشرعي السني، واستبدالها بمراكز ذات توجه أيديولوجي خاص. كما جرى تغيير خطباء المساجد، وفرض خطب موحدة تحمل مضامين طائفية.

وتم توثيق حالات اعتقال لعلماء وطلاب، وفرض قيود على الأنشطة الدينية، في محاولة لإعادة هندسة المجال الديني بما يتوافق مع توجه الجماعة.

يستهدف الحوثيون العلماء والخطباء والطلاب السنة، حيث جرى اختطاف العشرات وإخضاعهم لتحقيقات قسرية، بالإضافة إلى فرض أحكام صارمة وإعدامات تعسفية في بعض الحالات، لترويع المجتمع السني وفرض سيطرة أيديولوجية.

2. الانتهاكات الحقوقية العامة

تتضمن الانتهاكات اعتقالات تعسفية طالت ناشطين وصحفيين، كما تستغل الجماعة المؤسسات التعليمية لتجنيد الأطفال، خاصة في المناطق السنية، ضمن مسارات تعبئة أيديولوجية وعسكرية.

3. توظيف الصراع الخارجي لتبرير القمع الداخلي

تستخدم الجماعة حالة الحرب – سواء في غزة أو البحر الأحمر– كغطاء لتشديد القبضة الأمنية، عبر اتهام المعارضين بـ"الخيانة" أو "العمالة"، مما يضيق مساحة التعبير، ويستهدف بشكل خاص المكونات السنية المعارضة.

ثالثاً: العراق بين ما بعد الصراع وهيمنة الفصائل

يمثل العراق حالة معقدة، حيث تداخلت العوامل الطائفية مع التحولات السياسية والأمنية منذ عام 2003، وما تزال آثارها ممتدة حتى اليوم.

1, إرث الانتهاكات وبطء العدالة

لا تزال مناطق سنية واسعة تعاني من آثار العمليات العسكرية ضد تنظيم "الدولة الإسلامية"، حيث سُجلت انتهاكات بحق مدنيين، شملت اعتقالات عشوائية، واختفاء قسري، وتأخر في إعادة الإعمار، ما صنع بيئة من الإحباط وفقدان الثقة.

2. دور بعض الفصائل المسلحة

تُتهم بعض الفصائل المنضوية ضمن "الحشد الشعبي" بارتكاب تجاوزات في مناطق سنية، شملت عمليات تهجير، أو منع عودة نازحين، أو السيطرة على ممتلكات أو جرائم إخفاء قسري وقتل سري. وعلى الرغم من نفي أو تبرير هذه الأفعال أحيانًا، فإن تكرار الاتهامات يشير إلى وجود إشكاليات بنيوية في ضبط هذه القوى.

3.التهميش السياسي والاجتماعي

يشكو جزء كبير من المكون السني من ضعف التمثيل السياسي الفاعل، ومن بطء إعادة الإعمار في مناطقهم، إضافة إلى استمرار الخطاب الشيعي المعادي في بعض الأوساط، ما يعمق الشعور بالإقصاء.

4.الاعتقالات والاختفاء القسري والإعدامات

تكرر تسجيل حالات اختفاء قسري وسجن تعسفي للسنة، خاصة في المناطق التي يسيطر عليها الحشد الشعبي، مع استخدام التهم الطائفية والسياسية لتبرير هذه الممارسات. هذه السياسات المستمرة تهدف إلى تفتيت النسيج الاجتماعي السني وإضعاف مؤسساتهم الدينية والثقافية، ما بصنع شعوراً متواصلاً بالإقصاء والخوف من السلطة القائمة.

إضافة إلى آلية الإعدامات الجائرة التي يمارسها النظام الشيعي العراقي بحق السجناء السنة، وأكثرهم يسجنون لهويتهم الدينية لا لتهم ثابتة.

إن هذا النمط من القمع المنهجي يمثل أحد أبرز أدوات السيطرة على المجتمعات السنية، ويكشف عن محاولة مستمرة لإعادة تشكيل التوازنات الدينية والسياسية في هذه الدول، بما يخدم مصالح القوى المسيطرة على الأرض.

ضعف الذاكرة التاريخية أو تجاهلها؟

في سياق التزييف للوعي الذي تمارسه الآلة الإعلامية لإيران وأذرعها وأنصارها، تبرز مشكلة ضعف الذاكرة التاريخية لدى شريحة من المتابعين، أو تجاهلها المتعمد، وهو ما يُسهم في إعادة إنتاج صورٍ مبتورة عن الواقع. فحين يُختزل المشهد في لحظة راهنة أو موقف إعلامي لافت، يُغفل تاريخٌ قريب حافل بالأحداث التي لا يمكن القفز فوقها.

ففي العراق، لا يمكن إغفال أدوارٍ معقدة تشكّلت في ظل الاحتلال الأمريكي عام 2003، حيث تداخلت المصالح، وتحالفت إيران مع الولايات المتحدة لكسر شوكة أهل السنة، وسلمت واشنطن قيادة العراق للشيعة بالمقابل، فأسهمت في إعادة تشكيل المشهد العراقي على نحوٍ أضعف مكوناته الاجتماعية وأدخل البلاد في دوامة من الصراعات التي يُستضعف فيها أهل السنة وتُبخس حقوقهم وتتوحش فيها الميليشيات الشيعية.

وفي سوريا، كان للدعم الإيراني لنظام بشار الأسد - المخلوع- دورٌ حاسم في إطالة أمد الصراع، عبر دعم عسكري ولوجستي واسع، شاركت فيه ميليشيات متعددة تابعة لأذرع إيران، وأسفر عن كلفة إنسانية باهظة، ودمار واسع، وتهجير لملايين المدنيين.

أما في أفغانستان، فقد كشفت مراحل مختلفة من الصراع عن تعاون إيران مع الولايات المتحدة ضد أفغانستان، وهو ما يعكس براغماتية سياسية تتجاوز الشعارات المعلنة.

إن استحضار هذه الوقائع - بشكل مختصر جدًا - لا يهدف إلى استدعاء الماضي لذاته، بل إلى تصحيح ميزان النظر، ومنع اختزال الصورة في زاوية واحدة. فالتاريخ ليس انتقائيًا، ولا يجوز أن يُمحى منه ما لا ينسجم مع الانطباعات الراهنة. وإن الوعي الحقيقي هو الذي ينظر إلى المشهد بكليّته، لا ببريق لحظي يعمي عن سياق ممتد.

الخلاصة الرابعة

تكشف المعطيات أن المسلمين السنة في العديد من الدول التي لإيران فيها سلطة، يواجهون أنماطًا متعددة من التمييز والقمع والاضطهاد، تتراوح بين التضييق الديني، والانتهاكات الحقوقية والأمنية، والتهميش السياسي. ورغم اختلاف السياقات، فإن القاسم المشترك هو وجود فجوة بين الخطاب المعلن - خاصة في القضايا الإقليمية- وبين الممارسة الداخلية.

كما يظهر أن هذه السياسات لا تؤثر فقط على الواقع المحلي، بل تمتد آثارها إلى تشكيل تصورات أوسع في العالم الإسلامي، ما يجعل معالجتها ضرورة ليس فقط حقوقية، بل أيضًا فكرية، عقدية، واستراتيجية.

التحديات والمآلات المستقبلية

إن ظاهرة ارتفاع نسبة التشيع والتعاطف مع الشيعة في العالم الإسلامي، كتداعيات مباشرة للمواجهة الإيرانية الإسرائيلية، تُشكّل تحدياً مزدوجاً: أمنيًا واجتماعيًا وفكريًا وثقافيًا. من أبرز هذه التحديات خطر الصدام الداخلي في الدول ذات الغالبية السنية، حيث قد يؤدي تزايد أعداد الشيعة ومناصريهم إلى توترات متصاعدة مع المجتمع السني، وصولاً أحيانًا إلى صراعات اجتماعية وسياسية حقيقية. كما أن هذه الظاهرة تصبح أخطر إذا تبنت بعض المؤسسات الدينية السنية التقليدية، مثل الأزهر الخطاب المتعاطف مع الشيعة.

ومن الأبعاد الأكثر خطورة أن الإعلام وبعض وسائل المقاومة الفلسطينية والإقليمية يُسهم في تلميع صورة إيران وإظهارها كبطل مقاوم، مع تصوير أدوارها في مواجهة "إسرائيل" على أنها في سبيل القضية الفلسطينية، مما يبرر أي ممارسات داخلية أو إقليمية، بما في ذلك الانتهاكات الممنهجة ضد السنة في الداخل الإيراني أو الإقليمي تحت سيطرات محور المقاومة.

هذا التلميع الإعلامي المستمر يُخفّف من جدية المخاطر الأيديولوجية، ويصنع لدى بعض الجماهير شعورًا بالشرعية أو التعاطف مع المشروع الإيراني، بينما يُستَمر في ذم السنة وتشويه موقفهم في الخطاب الإعلامي والسياسي، خصوصاً في الرد على من ينتقدون إيران أو يرفضون انتشار النفوذ الشيعي، ممن لا تُمثلهم حكومات ولا محاور دولية.

أما المآلات المستقبلية، فهي معقدة وغير حتمية، وتتوقف على مجموعة من العوامل المتشابكة: استمرار المواجهة الإيرانية الإسرائيلية، فعالية الخطاب الإيراني في كسب التعاطف والتأثير العقائدي، وقدرة المؤسسات السنية على تقديم بديل فكري وسياسي جذاب وموحد.

رغم ذلك، تشير المؤشرات الراهنة إلى أن هذه الظاهرة في تزايد مستمر، مما يحتم على الباحثين والمفكرين وصناع القرار دراسة هذه التحولات بعمق، وفهم ديناميكياتها،

وتقديم استراتيجيات شاملة لمعالجتها، قبل أن تتسع دائرة تأثيرها وتؤدي إلى تغييرات مذهبية واجتماعية أكثر جذريّة في العالم الإسلامي.

الخاتمة والتوصيات

خلص هذا البحث إلى أن المواجهة الإيرانية الإسرائيلية أسهمت بشكل غير مباشر في ارتفاع نسبة التشيع السياسي والعقدي في بعض أوساط العالم الإسلامي، لا سيما بين الفئات التي تشعر بالإحباط من عجز الأنظمة العربية عن مواجهة "إسرائيل".

وقد تجلّت هذه الظاهرة في تزايد التعاطف السياسي مع إيران، ونمو المجتمعات الشيعية في دول مثل نيجيريا، وتزايد ظهور "المستبصرين" الشيعة في جنوب شرق آسيا.

وتُعزى هذه التحولات إلى مجموعة من الأسباب المتشابكة: فراغ القيادة السنية، وجاذبية محور المقاومة، وتوظيف السردية الدينية والمهدوية، والدعم المالي والاجتماعي الإيراني. كما استخدمت إيران الإعلام والبروباغندا، والمنح الدراسية، والعمل الإنساني الممنهج كآليات فعالة لنشر نفوذها وإعطاء صورة بطولية لمشروعها، مع تولي النخب السنية تبرير مخالفاتها العقدية وإخفاء سجل انتهاكاتها ضد السنة.

ولمواجهة هذه الظاهرة وحماية المجتمع السني من الانجرار وراء الانفعالات الشيعية، يصبح دور الدعاة والمراكز الإعلامية السنية محورياً. فهذه المنابر قادرة على صناعة التوازن والوعي، من خلال تقديم خطاب ديني صادق لا يكتم الحقائق بل يبينها، كما يمكنها تمكين الجماهير من تمييز التضليل الإعلامي والبروباغندا، وعدم الانجرار وراء الانفعالات العاطفية في مسائل الساحة الإقليمية، خاصة المتعلقة بالتحولات المذهبية والسياسية.

لذلك، تُوصى الخطوات التالية:

- بناء مشروع سني شامل يعالج الأسباب الجذرية التي تدفع الأفراد للبحث عن بدائل شيعية، مع التركيز على خطاب صادق يجمع بين الوعي العقدي والفكر السياسي الناضج ويستقل بهويته وأهدافه واستراتيجية وعوامل قوته، وتمويله وإعلامه. ولو كان الأمر يتطلب وقتا ليؤتي أكله، إلا أنه ضرورة يجب العمل عليها كأولوية مع حشد الطاقات لها وفق استراتيجية الجهاد على جميع الميادين والأصعدة.
- تعزيز التعليم والتوعية عبر المؤسسات التربوية والمدارس، وشرح مفاهيم الفرق، والهوية الإسلامية الأصيلة، بما يسد الفراغ الذي تستغله القوى الأخرى.
- توسيع الدعم الاجتماعي والإنساني في المجتمعات المهمشة، لضمان أن يجد الأفراد حلولهم وطاقتهم في إطار المجتمع السني دون الحاجة للجوء إلى تأثير خارجي.
- تفعيل الدور الإعلامي والدعوي لمواجهة البروباغندا والتضليل، ونشر نماذج حية للمقاومة والجهاد المشروع، بعيداً عن أي تبرير لممارسات الشيعة أو التعصب لانتماء المقاومة الفلسطينية لمحور إيران.
- إحياء ذكر الملفات المهمّشة والمظالم المنسية والمقزّمة في العالم الإسلامي، لأن الظالم والطاغية يُبرز بشكل بطل في زاوية أخرى، ونقل الحقائق كاملة بدون تدليس ولا إخفاء. بنظرة شمولية وفق مبدأ الأمة الواحدة، وشريعة الله تعالى. فيتخذ الناس مواقفهم بمسؤولية ووعي. ويخفف ذلك من حالة الاستغفال والتوظيف الممنهج وتقسيم الأمة.
- إبراز الجانب الخفي في الصراع وعدم بخس أهل السنة دورهم في مناصرة قضية فلسطين على امتداد محور الزمن، وهو ما يحاول الإعلام الإيراني وأذرعه ترسيخه بمحو كل أثر للجهاد السني في العالم، بهدف تحرير فلسطين. وهو كذب وإفك مبين.

بهذه الخطوات، يمكن للمجتمع السني أن يحافظ على توازنه الفكري والاجتماعي، ويحول أي أزمة إلى فرصة لتعزيز النهوض والوعي، واحتضان مبادئ الإسلام العظيمة وعدالته بشكل شامل غير مجتزأ، كمرجع أساسي في مواجهة التحديات المعاصرة. والله الموفق.

المراجع

التعاطف مع إيران .. "التصهين" صك اتهام وازدواجية المعايير أمام الإنسان (هيسبرس) ومجموعة مقالات ترصد الظاهرة.

المسلمون الشيعة في نيجيريا

التشيع في تونس: ممارسة دينية أم مشروع أيدولوجي لنفوذ ايراني جديد؟ (مركز شمس)

الانفتاح التونسي على إيران: تكتيكات كسر ''الاحتكار الغربي'' (بيت الخليج)

تزايد التشيع في تونس: قلق كبير من تحول حرية المعتقد إلى معركة نفوذ (يتيوب القناة التاسعة)

هذا السجال حول التشيّع في تونس – العربي الجديد

الشيعة في مصر

انتشار التشيع وتأثيره في النسيج الاجتماعي في غرب إفريقيا Qiraat African

الشّيعة والمتشيّعون في غرب أفريقيا المسلمة، الخَطَرُ المحدَّق وسبل

التقرير العالمي ٢٠٢٥: إيران هيومن رايتس ووتش

متابعة ورصد شامل في مواقع التواصل.

سلسلة مقالات تاريخ الإسلام في إيران، د. ليلى حمدان.

جدل حول واقعية حركة التشيّع بالجزائر. ٢٠١٣ ,الجزيرة نت.

تقييم الرأي العام العربي تجاه إيران ٢٠٢٤ – ٢٠٢٢، معهد الدوحة.

مخاوف من «التدخل الخارجي» تنعش النقاش السياسي في الجزائر. الشرق الأوسط.

تبون يستعد لزيارة ايران، بعد دعوة من رئيسها.Intelligencia.ma .

الجزائر أرست قوانين واضحة في ضمان حرية ممارسة الشعائر الدينية. (٢٠٢٥).APS

قوانين الجزائر تضمن حرية ممارسة الشعائر الدينية.الشروق أونلاين

From Khamenei to Zakzaky: The bond driving Nigeria's Shia protests - The Africa Report

The Islamic Movement of Nigeria: A Catalyst for Change or Source of Conflict - Global Weekly

Indonesia Backs Iran—But Shia Muslims at Home Still Face Stigma - Magdalene.co

'Heretical' Shia shed disfavour as winds of war shift prejudices - Continent Substack

Indonesia Backs Iran—But Shia Muslims at Home Still Face Stigma - Magdalene.co

مركز وصل للبحوث والدراسات